لغز الفيلم المُلوَّن



محمود سالم

لغز الفيلم الملُوَّن

تأليف
محمود سالم



لغز الفيلم المُلوَّن

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٣٢ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

مفاجأة في محطة السكة الحديد

لم يكن «تختخ» قد انتهى من إفطاره بعد، عندما سمع صوت جرس التليفون ... كان الصوت طويلًا في البداية، فعرف أنها مكالمة خارجية ... أسرع إلى التليفون، فعرف الصوت الذي يتحدث ... قال «تختخ»: أهلًا «مصطفى»، من أين تتحدث؟

ردَّ «مصطفى»: من الإسكندرية. لقد اشتقتُ إليك وإلى الأصدقاء، سوف أصل في قطار الواحدة إلى القاهرة ... وأرجو أن تكون في انتظاري ...

قال «تختخ» مبتسمًا: أهلًا بك، لقد اشتقنا إليك أيضًا، وسوف تجدني في انتظارك في الكافتيريا.

وضع «تختخ» السماعة بعد انتهت المكالمة، وعاد يكمل إفطاره ... وقعَتْ عيناه على ساعة يده. كانت تشير إلى التاسعة صباحًا، هذا يعني أن الوقت لا يزال مبكرًا، وأنه يستطيع أن يذهب إلى الأصدقاء ليخبرهم بوصول «مصطفى» وقضائه معهم عدة أيام ... انتهى «تختخ» من الإفطار ... وبدأ يلبس ملابسه ... اتجه إلى التليفون، وطلب «محب» وقال له: صباح الخير يا «محب». لقد حدثني صديقنا «مصطفى» من الإسكندرية منذ قليل، وسوف يصل في قطار الواحدة، ما رأيك لو اجتمعنا عند «عاطف» وذهبنا إلى المحطة معًا؟

قال «محب»: فكرة طيبة، سوف أتصل بـ «عاطف» و«لوزة»، وسوف نكون في انتظارك ... إلى اللقاء.

قال «تختخ»: إلى اللقاء.

وضع السماعة، ثم أخذ طريقه إلى حجرته. لمعَتْ في ذهنه فكرة أن الأصدقاء لم يقوموا بمغامرة منذ مدة، وهم الآن على استعداد لاعتبار أي شيء يحدث لغزًا يستحق الحل، وفكَّر لحظات، ثم هرش رأسه، وقال مُغمغِمًا: فكرة ... فكرة مدهشة ... إنها تذكرني بأيام زمانٍ ... أيام الألغاز الأولى ...

بعد ساعةٍ ... كان الأصدقاء قد اجتمعوا في فيلا «عاطف» كعادتهم، فقال «محب»: لقد مضى وقتٌ طويلٌ دون مغامرة ... أخشى أن تمر الإجازة دون أي حركة منا.

لوزة: مَن يدري؟ قد تظهر مغامرة بينما نحن جالسون.

ظلَّ الأصدقاء يتحدثون، إلا «نوسة» التي لم تتحدث أبدًا ... كان هناك منظر يلفت نظرها، ولم تَدْرِ إلا و«عاطف» يهزها قائلًا: ما الذي يشغلكِ؟ إننا نتحدث منذ مدة، كأنكِ تجلسين وحدك!

التفتَتْ «نوسة» إليه، وكأنها لم تسمع ما قاله، فضحك الأصدقاء ...

لوزة: دعوها تفكِّر، ربما تعثر لنا على مغامرة بين أفكارها.

استغرقَتْ «نوسة» مرة أخرى في مراقبة ذلك المنظر ... كان هناك رجل أجنبي، ظل يروح ويجيء أمام الفيلا، ثم يُخرج من جيبه ورقة وقلمًا، ويدوِّن بعض الأشياء ... ثم يضع الورقة في جيبه ... لم تتحدث «نوسة» ولم تخبر الأصدقاء، ظلَّتْ ترقب الرجل، حتى لا تلفت نظره، فلو أنها قالت للأصدقاء وراقبوه جميعًا، فقد ينصرف.

عاطف: لقد تأخر «تختخ»، والوقت يمرُّ، وقد لا نلحق «بمصطفى» في المحطة.

لوزة: لا يزال الوقت مبكرًا!

نظرَتْ في ساعة يدها، ثم قالت: إن القطار قد غادر الإسكندرية منذ نصف ساعة فقط.

تمطَّى «محب» في كرسيه، وقال: إنني أشعر بالكسل ... إن المغامرة تجعلنا أكثر نشاطًا ... أليس كذلك يا «نوسة»؟!

نظر الأصدقاء إلى «نوسة» التي كانت مستغرقة في مراقبة الرجل ... ثم ضحكوا جميعًا ... نظرَتْ «نوسة» إليهم وهي لا تفهم ماذا قالوا؟!

قالت «لوزة» وهي تبتسم: ما الذي يأخذكِ منا؟

نظرَتْ لهم «نوسة» قليلًا ... ثم قالت بهدوءٍ: اسمعوا ما سوف أقوله لكم، وعليكم ألا تتحركوا، وألا تنظروا حولكم ... يجب أن تظلوا كما أنتم، وإلا ضاعتِ المفاجأة.

قفزَتْ «لوزة» من مكانها، وهي تقول بصوت مرتفع: مفاجأة!

نظرت لها «نوسة» في عتاب ... ثم ابتسمَتْ وقالت: لقد قلتُ لكم: لا تتحركوا، يبدو أننا أمام مفاجأة طيبة، أو مغامرة مثيرة!

حبس الأصدقاء أنفاسهم، وتعلَّقَتْ عيونهم «بنوسة» ... صمتَتْ «نوسة» قليلًا ... ثم قالت: أمامي بالضبط — لا يجب أن يلتفت أحدكم، حتى لا ينزعج الرجل، أو نلفت نظره —

أمامي بالضبط رجل يبدو أنه أجنبي ... منذ مدة وهو يدور حول الفيلا ... أحذِّركم مرة أخرى، لا يلتفت أحدكم حتى لا يشك الرجل فينا ... إنه منذ مدة يدور حول الفيلا، ويُدوِّن بعض الملاحظات ... يبدو أننا سوف نكون هدفًا لشيء ...

صمت الأصدقاء قليلًا ... ثم سأل «عاطف»: هل هو أمامكِ الآن؟

قالت «نوسة» (وما تزال عيناها على الرجل الأجنبي الذي كان يدوِّن بعض الملاحظات): نعم، إنه أمامي مباشرة الآن ... وسوف أصف لكم كلَّ حركة يقوم بها، حتى لا يلتفت أحدكم، وحتى تكونوا على علمٍ بما يحدث ... لقد طوى الورقة ووضعها في جيبه ... إنه يتحرك الآن ... لكنه لا يبتعد ... إن حركته حول الفيلا كما هي ... إنه يستدير ... وينظر إلى الفيلا المجاورة ... إنَّ ظهره في اتجاهنا ... تستطيعون أن تنظروا الآن ... بسرعةٍ ...

التفت الأصدقاء في اتجاه الرجل ... كان ظهره ناحيتهم، وقد أخرج الورقة وبدأ يرسم خطوطًا ...

قالت «نوسة» بسرعة: هيَّا ... عودوا إلى وضعكم السابق ... فقد يلتفت فجأة.

عاد الأصدقاءُ إلى جلستهم العادية ... وقال «محب»: يجب أن نتصل بـ «تختخ» الآن ... إنه يستطيع أن يراقب الرجل دون أن يلفت نظره.

قالت «نوسة»: لا يتحرك أحد ... أقترح أن يذهب أحدنا إليه ... «عاطف» مثلًا ... على أن نكون مستعدين لأي حركة قد يقوم بها.

وقف «عاطف» مسرعًا ... ثم أخذ طريقه إلى الرجل ... التفت الرجل فجأة ... ثم أخذ طريقه مبتعدًا ... أسرع «عاطف» خلفه ... كان الأصدقاء يراقبون تلك المطاردة المثيرة، وكلٌّ منهم يضع تصوُّرًا لنهايتها!

قالت «نوسة»: يجب أن تتحرك بسرعة يا «محب»؛ فقد يبتعد الرجل «بعاطف»، ثم يقع شيء لا نتوقعه!

أسرع «محب» هو الآخَر خلف «عاطف»، كان «عاطف» لا يزال يتابع الرجل الذي أصبحَتْ خطواته أسرع، وأوسع ... جرى «عاطف» حتى يلحق بالرجل، وعندما أصبح خلفه تمامًا ... استدار الرجل فجأةً ... حتى إن «عاطف» اصطدم به، فانفجر الرجل ضاحكًا، كان «محب» يتابع ما يحدث، فلم يكن قد اقترب تمامًا. نظر «عاطف» لحظةً إلى الرجل، ثم انفجر في الضحك هو الآخَر، حتى إن «محب» دُهِشَ لهذه المسألة. ودُهش أكثر عندما رآهما يسيران معًا في اتجاهه، اقترب الاثنان من «محب» الذي نظر إلى الرجل قليلًا، ثم انفجر ضاحكًا هو الآخَر، وقال: يجب أن نتصل بـ «تختخ» بسرعةٍ ... إن هذه خدعة طيبة!

سار الثلاثة، حتى اقتربوا من فيلا «عاطف» ... عندما كانت «نوسة» و«لوزة» تنظران في دهشة، وهما تريان الرجل الأجنبي يسير مع «عاطف» ومحب، وعندما اقترب الثلاثة من «نوسة» و«لوزة» ... كان الجميع يضحكون، فقد كان الرجل الأجنبي هو نفسه «تختخ» متنكِّرًا ...

جلس الأصدقاء ... وسألت «لوزة»: لماذا فكَّرتَ في حكاية التنكُّر هذه؟ ضحك «تختخ» وقال: أنتم تعرفون أن «مصطفى» صديقنا من هواة المغامرات ... ولقد فكرتُ أن أبدأ لقاءه بمفاجأة ... فتنكرتُ ... وعندما اقتربتُ من الفيلا ... ورأيتكم مجتمعين ... فكرتُ أن أجرِّب فيكم خدعة التنكُّر!

ضحك الأصدقاء، وقالت «نوسة»: لقد أجدتَها تمامًا ... إنني منذ وقعَتْ عيني عليك، تصوَّرْتُ أنك أحد الجواسيس، أو أحد أفراد عصابة كبيرة.

ضحك «تختخ» وقال: لقد تعمدتُ أن أقف ناحيتكِ أنتِ بالذات؛ لأنني أعرف أنكِ ستفكرين كثيرًا قبل أن تتحركي!

كانت الساعة تقترب من منتصف النهار، عندما قال «عاطف»: يجب أن نتحرك الآن، حتى نستطيع أن نكون في المحطة في وقتٍ مناسبٍ.

تختخ: إنني أقترح أن أذهب وحدي حتى تكون المفاجأة قوية لمصطفى، فلو ذهبنا جميعًا لن تكون اللعبة كاملة!

نوسة: لا بأس، اذهبْ وحدك، وسوف نظل في انتظارك حتى تعود ومعك «مصطفى»، الحقيقة إنه صديق طيب، ولا أنسى تلك الأيام التي قضيناها معه في الإسكندرية في الصيف الماضي.

حيَّاهم «تختخ» وانصرف في طريقه إلى المحطة، وعندما كانت الساعة تدق الثانية عشرة والنصف ... كان «تختخ» يجلس في بوفيه المحطة ... جاء الجرسون فطلب كوبًا من عصير الليمون ... وعندما كان يرشف الليمون المثلج ... لفت نظره رجل أجنبي ينظر له كثيرًا ... أخذ «تختخ» يشغل نفسه بمشاهدة المسافرين؛ لكنه في نفس الوقت كان يرقب الرجل الأجنبي خفية.

كان الرجل الأجنبي ممتلئ الجسم، طويل اللحية والشارب ... يجلس هادئًا، يرشف فنجانًا من الشاي ... وكاد «تختخ» ينسى ما جاء من أجله، لولا أن دقت ساعة المحطة الواحدة، وأعلن مكبر الصوت عن وصول قطار الإسكندرية. وقف «تختخ»؛ لكنه فجأةً لم يرَ الرجل الأجنبي ... ولم يَكَدْ يخطو خطوة واحدة حتى جاءه الجرسون يقدِّم له مظروفًا،

ولما سأله عن صاحبه ... أشار الجرسون إلى الرجل الأجنبي الذي كان يغادر المحطة في تلك اللحظة. قال «تختخ»: قال لك أن توصله لي؟!

الجرسون: نعم يا أستاذ ... أشار عليك وطلب مني توصيل المظروف.

تختخ: هل أنت متأكد أنه كان يعنيني أنا بالذات؟

الجرسون: نعم ... لقد أشار إليك بضع مرات ... بينما كنتَ تقومُ من كرسيك وقال لي: أعطه له.

اشتدت دهشة «تختخ» فهو لا يعرف هذا الرجل ... لكنه ابتسم وهو يفكر ... ربما ظن الرجل أنني أجنبي مثله ... وقد خدعه التنكُّر.

دسَّ «تختخ» الخطاب في جيبه ... وأسرع إلى الباب الحديدي ... كان ركاب قطار الإسكندرية قد بدءوا يتوافدون ... ظل يرقبهم واحدًا واحدًا، لعله يجد بينهم صديقه «مصطفى» ... لكن «مصطفى» لم يظهر ... ظل «تختخ» واقفًا بجوار باب الخروج الحديدي، لكن «مصطفى» لم يظهر، ولم يكن أمامه إلا أن ينصرف ... تذكَّر المظروف الذي في جيبه ... فابتعد عن البوابة وأخرجه ... كان الخطاب ثقيلًا ... فتحه بحذرٍ، وكانت المفاجأة ... كان المظروف يحتوي على باسبور ... وبطاقة لاستلام حقيبة من أماناتِ السكة الحديد باسم «هانز بوسن» ... فتحَ «الباسبور» وقرأ اسم صاحبه ... كان «هانز بوسن» أيضًا ...

نظر «تختخ» حوله ... فربما كان هناك مَن يرقبه ... لم يكن أحدٌ ينظر إليه ... لم يكن هناك سوى زحام المسافرين ... بين حاضِرين ومستقبلين، ومسافرين ... وصوت ميكروفون المحطة وهو يقطع صوت حركة الناس، ليعلن عن موعد قيام قطار أو موعد وصول قطار آخَر ... أخذ «تختخ» يمر بعينَيْه على اللافتات المعلَّقة ... حتى قرأ «أمانات» ... خطا خطوة في اتجاه مكتب الأمانات ... لكنه تردَّد ... توقف وظلَّ يفكر: هل يذهب لاستلام الحقيبة؟ وما هي هذه الحقيبة؟ وماذا فيها؟ وهل يسلمها له موظف «الأمانات»؟! أسئلة كثيرة ظل يفكر فيها ... وأخيرًا اتجه إلى باب المحطة للخروج، فقد استقر رأيه على أن يجتمع بالأصدقاء أولًا. وعندما وقف عند الباب الخارجي ... كان ميدان «رمسيس» المتسع يعجُّ بحركة المشاة والسيارات، وكان تمثال «رمسيس الثاني» يحتل الثلث الأخير من الميدان بنافورته التي كان يتناثر رذاذ مائها على وجوه الأطفال الذين كانوا يلعبون حولها، أسرع يستقل الأتوبيس إلى محطة المترو ... ثم من محطة المترو إلى «المعادي»، وعندما أصبح هناك فكر أن يذهب إلى بيته أولًا، حتى يتخلص من الماكياج الذي أصبح لا داعي له.

في البيت عرف أن صديقه «مصطفى» قد اتصل به واعتذر؛ لأنه قد اضطُرَّ إلى تأجيل سفره إلى القاهرة لعدة أيام، وأنه سوف يتصل به مرة أخرى …

انتهى «تختخ» من إزالة الماكياج، وغيَّر ملابسه، ثم صحب «زنجر» الذي استقبله بمرح، وأخذ طريقه إلى الأصدقاء في فيلا «عاطف» …

كان الأصدقاء يمرحون وهم يتذكرون مغامراتهم السابقة … ويتذكرون ذلك الصيف الذي قضوه بصحبة صديقهم «مصطفى»، وكان منهم مَن يعد برنامج زيارة حتى يستمتع «مصطفى» بالأيام التي سوف يقضيها بالقاهرة … لكن فجأةً، صاحت «لوزة»: إن «تختخ» وحده، ليس معه سوى «زنجر»!

نوسة: لعل «مصطفى» في بيت «تختخ» بعد عناء السفر!

محب: خصوصًا وأن «تختخ» قد أبدل ملابسه … وأزال الماكياج.

ظل الأصدقاء يرقبون «تختخ» وهو يقترب منهم بدراجته حتى وصل إليهم، ولم يستطع «محب» أن ينتظر، فصاح: لماذا أنت وحدك؟ أين «مصطفى»؟

ضحك «عاطف» وقال: أرجو ألا تكون هناك خدعة جديدة!

كان يبدو على «تختخ» التفكير … فلما جلس بينهم قال: إننا أمام لغز جديد.

نظر الأصدقاء له بتساؤل وقد لمعت عيونهم بعد سماع كلمة «اللغز» … وفي هدوء أخرج «تختخ» «الباسبور» ثم ألقاه على المنضدة الصغيرة التي أمامهم … نظر الأصدقاء إلى «الباسبور» ثم نظروا إليه … وقالت «نوسة»: ماذا يعني هذا؟

أخرج «تختخ» بطاقة الأمانات … ثم وضعها أمامهم … نظر إليها الأصدقاء في دهشة … وقال «عاطف»: ما هذا؟

وبدأ «تختخ» يحكي لهم ما حدث …

كانت وجوه الأصدقاء تتابع الحديث بدهشة … بينما كان «زنجر» يغط في نوم عميق … وعندما انتهى «تختخ» من كلامه … قالت «نوسة»: أقترح أن نتصل بالمفتش «سامي» فورًا.

عاطف: يجب أن نفكر قليلًا!

لوزة: ولماذا التفكير؟ يبدو أننا أمام عصابة!

محب: ولهذا يجب أن نفكر!

أخيرًا قال «تختخ»: إنني مع «نوسة»، يجب أن نتصل بالمفتش «سامي» فورًا.

أسرع «عاطف» إلى التليفون، واتصل بالمفتش «سامي»، فعرف أنه في مهمة سرية خارج القاهرة ... وعندما أخبر الأصدقاء قالت «نوسة»: ينبغي ألا نضيع وقتًا ... يجب أن نتسلَّم الحقيبة فورًا.

ماذا في الحقيبة؟

صمت الأصدقاء أمام اقتراح «نوسة» ... كانوا يفكرون في التصرُّف الصحيح. مرَّتْ لحظات لم يكن يقطعها أي صوت ... رفع «زنجر» رأسه يتطلع إليهم وكأن صمتهم أيقظه ... نظر إليه «تختخ» وابتسم قائلًا: إن «زنجر» لا يستطيع النوم إلا على أصواتنا.

ابتسم الأصدقاء ابتسامات هادئة وشملهم الصمت مرة أخرى، حتى قطعه «محب» قائلًا: من الممكن أن نتسلَّم الحقيبة، ثم نسلمها للشرطة ... إنَّ هذا ليس ضد الأمانة!

نظر له الأصدقاء دون أن يتحدث أحدهم أو يوافق على اقتراحه ... أخيرًا قال «تختخ»: إنني أنضم إلى رأي «محب» و«نوسة»، يجب أن نتسلَّم الحقيبة ونرى ما فيها، قد يكون شيئًا غير ذي قيمة ... وفي جميع الأحوال سنبلغ الشرطة.

وافق الأصدقاء بعد مناقشات طويلة ... استأذن «تختخ» للانصراف حتى يستطيع أن يتنكر من جديدٍ ويذهب إلى تسلُّم الحقيبة ... نظر له «زنجر» ثم تمطى وتبعه مسرعًا، وقال «تختخ» وهو يقترب من باب الحديقة: موعدنا عندي في السادسة ... ثم خرج وقفز على دراجته، وانطلق ومعه «زنجر» إلى البيت ... وفي نصف ساعة عاد إلى شخصية الرجل الأجنبي، ثم انطلق وحده إلى محطة المترو وأخذ ينظر حواليه خوفًا من أن يكون أحد يتبعه ... وعلى المحطة كان يقف قلقًا. وبرغم أن موعد وصول المترو لم يكن قد حان ... إلا أن «تختخ» شعر أن المترو قد تأخر كثيرًا ... نظر حواليه يتأمل الواقفين على المحطة في انتظار المترو ... كان كل واحد مشغولًا بنفسه ... غير أنه في طرف الرصيف كان يقف اثنان يتطلَّعان إليه باهتمامٍ ويتحدثان ... كان يبدو أنهما يتحدثان عنه ... حاول أن يشغل نفسه بأي شيءٍ حتى لا يفكر فيهما؛ فقد يكون مخطئًا ... إلا أنه لم يستطع ... كان ينظر تجاههما في حذرٍ حتى لا يشعرا بأنه يراقبهما.

قطعَتِ الصمتَ صافرةُ المترو، فتأهَّب «تختخ» ... وعندما وصل المترو إلى المحطة قفز بسرعة داخله ... لكن لدهشته الشديدة ركب الاثنان نفس العربة، ووقفا قريبًا منه ... ظل يرقبهما بحذر ... كانت عيونهما لا تغيب عنه ... انطلق المترو وظل الاثنان يراقبانه ويتحدثان ... فكر في خطة جريئة حتى يحدِّد موقفه وموقفهما ... اقترب منهما كثيرًا، حتى لم يَعُد بينهما مسافة كبيرة ... وحتى كان يستطيع أن يسمع حديثهما ... لكنهما كفَّا عن الكلام ... فكَّر مرةً أخرى ... ثم بدأ يبتعد عنهما لينتقل إلى عربة أخرى ... ظل ينظر في اتجاههما فلمْ يرَهُما ... وتأكد أنه لم يكن المقصود ... أو أنه قد هرب منهما ... عند محطة «السيدة زينب» رآهما يدخلان نفس العربة التي يجلس فيها ... عرف أنهما نزلا في المحطة عندما توقف المترو، ثم عادا إلى العربة بسرعة ... تأكد هذه المرة من أنهما يتبعانه ... ولا بدَّ أن الحقيبة كانت السبب. وعندما وصل المترو إلى محطة «باب اللوق» أسرع بالاختفاء بين زحام الناس ... وما إن خرج إلى الشارع حتى وجد — لحُسْن الحظ — تاكسيًا، أشار إليه بسرعة فوقف ... ركب التاكسي وهو يقول للسائق: أرجوك ... أريد أن أصل إلى محطة باب الحديد لألحق بالقطار!

عندما تحرك التاكسي تنفَّسَ «تختخ» بارتياح ... لقد أَفْلَت منهما في النهاية ... كانت الشوارع مزدحمة ... حتى إن التاكسي كان يتحرك ببطء ... لكنه في النهاية وصل إلى ميدان «رمسيس» ... نزل بسرعة من التاكسي واتجه إلى داخل المحطة ... ثم إلى مكتب «الأمانات». كانت المحطة شديدة الازدحام ... حتى إنه كان يمر بصعوبة ... في النهاية وصل إلى المكتب ... كان المكتب مزدحمًا بالناس، ووقف في الصف الذي كان يتحرك ببطء ... وعندما وصل إلى الموظف أبرز «الباسبور» وبطاقة استلام الحقيبة ... نظر الموظف إلى «الباسبور» وتطلَّع إليه ... خشي «تختخ» أن يشك فيه الموظف فيدخل في تفاصيل لا يعرفها قد تنتهي في قسم الشرطة ... لكن الموظف أخذ البطاقة ونظر إليها ... ثم اختفى قليلًا بين أكوام من الحقائب ... وعاد وهو يبتسم ... قدَّم الحقيبة إلى «تختخ» الذي تسلَّمها بسرعة وانصرف ... وعندما خرج من باب مكتب «الأمانات» رأى الاثنين اللذين كانا يتبعانه في المترو ... لم يكونا ينظران تجاهه ... فأسرع بالخروج ... تجاوز باب المحطة ... فاستقلَّ تاكسيًا ... وعندما ألقى بنفسه في التاكسي قال للسائق: المعادي من فضلك.

نظر «تختخ» إلى الحقيبة التي معه ... كانت حقيبة صغيرة من نوع «السامسونايت»، وكانت من ذلك النوع الذي لا يفتح إلا بالأرقام ... لم يشغل باله بهذه المسألة ... كان التاكسي يقطع الطريق بسرعة، بينما «تختخ» يتأمل «النيل» الهادئ ... تذكَّر الرجلَينِ

اللذين كانا يتبعانه ... وأدرك أن للحقيبة أهمية كبيرة. وعندما توقف التاكسي أمام بيته أسرع بالخروج وهو يُقدِّم للسائق النقود ... ثم دخل البيت. لم تكن الساعة قد تجاوزت الخامسة بعدُ ... أسرع «تختخ» إلى داخل البيت، فأزال الماكياج وخلع ملابس التنكُّر ثم استلقى على سريره. لم يكن يفكر في الحقيبة، ولم يكن يفكر في الرجل الأجنبي الذي رآه في الصباح في المحطة، كان لا يزال يفكر في الاثنين اللذين تبعاه من محطة المعادي. فكر «تختخ» كيف استطاعا أن يتبعاه إلى محطة السكة الحديد ... وبرغم أنه فكَّر في هذه المسألة كثيرًا، إلا أنه في النهاية لم يتوصل إلا لاحتمالٍ واحدٍ ... أن يكونا قد تبعاه وسط زحام محطة «باب اللوق»، ثم استقلا تاكسيًا خلفه ... فلحقا به عند المحطة، لكن زحام المحطة أخفاه عنهما.

ظل «تختخ» في سريره، حتى سمع صوت الأصدقاء يسبقه صوت «زنجر» الذي كان يرحِّب بهم ... أسرع إليهم في الحديقة وهو يحمل الحقيبة السوداء الصغيرة ... وما إن رآه الأصدقاء حتى صاحت «نوسة»: رائع! هذا هو اللغز في يدك!

التفَّ الأصدقاء حول «تختخ» الذي كان لا يزال يفكر ... نظر إليهم ثم قال: ينبغي أن أحكي لكم ما حدثَ لي قبل أن نبدأ في فتح الحقيبة ... أو التفكير فيها.

لوزة: هل حدث شيء؟

تختخ: مسألة غريبة حدثت لي في محطة «المعادي»!

أخذ «تختخ» يقصُّ على الأصدقاء ما حدث له من هذَينِ الاثنَينِ اللذين ظلَّا يتبعانه، وعندما انتهى من حكايته، سأل «عاطف»: هل هما مِصْريَّان؟

تختخ: نعم.

عاطف: دَعْنا منهما الآن ... وهيَّا بنا نبحث عن حل لهذه الحقيبة ... فهي تبدو ممتلئة بالأسرار.

ضحك الأصدقاء ... ثم بدءوا يتأملون الحقيبة ويُقلِّبُون فيها ... وتوقفوا جميعًا عند لغز الأرقام ... فكيف يمكن فتحها دون أن يعرف أحدهم الرقم الذي تفتح به؟! قالت «لوزة»: دعونا نقترح بعض الأرقام ثم نقوم بتجميعها!

اقترح «محب» رقمًا وقام بتجميعه فلم تُفتح الحقيبة.

ضحك الأصدقاء ... ثم قام «عاطف» بنفس المحاولة ... ولكن الحقيبة أيضًا لم تفتح. قالت «نوسة»: نبدأ برقم «١» إلى اليسار ... ثم بقية الأرقام بعده ... فإذا فشلنا جربنا رقم «٢» وهكذا ... وهي الطريقة الوحيدة التي ستؤدي إلى نتيجة.

تختخ: لكنها تستغرق وقتًا طويلًا، فهذا يعني أننا سنجرِّب كل الأرقام!

صمت الأصدقاء، وبدأ كلٌّ منهم يفكر في طريقة. في نفس الوقت ... كانت «نوسة» تقوم بتجربتها الصعبة.

سمع الأصدقاء صوت سيارة النجدة تقترب من منزل «تختخ» ثم تتوقف غير بعيدة منه.

قال «تختخ»: هل يذهب أحدنا لمعرفة الأخبار؟

تحرك «عاطف» بسرعة في اتجاه السيارة ... كانت تقف أمام فيلا صديقهم «مجدي» ... فأسرع إليه وسأله عن الحكاية ... فأخبره «مجدي» أن سرقة ضخمة قد حدثَتْ عندهم ... نظر إليه بدهشة ثم سأله: أيُّ نوع من السرقة؟!

مجدي: مجموعة نادرة من المجوهرات.

عاطف: هل عرفتم السارق؟

مجدي: أبدًا!

انطلق «عاطف» مُسْرعًا إلى الأصدقاء ... وعندما اقترب منهم رأى الحقيبة مفتوحة.

وقف «عاطف» يحدِّق في محتويات الحقيبة ... ثم سأل: مَن الذي فتح الحقيبة؟!

لوزة: «نوسة» هي التي فتحتها ... لقد كانت تجربتها بطيئة ولكن مؤكدة ... ومن حُسْن الحظ أن الأرقام المطلوبة كانت أرقامًا صغيرة فتجمعت بسرعة.

تختخ: وما العمل الآن؟

نوسة: نفتح العلبة التي وجدناها في الحقيبة.

كانت داخل الحقيبة علبة بيضاء متوسطة ... ولم يكن معها شيء آخَر ... أمسك «تختخ» بالعلبة ثم هزَّها ... كانت ثقيلة نوعًا ... قال «تختخ»: إنها علبة من النوع الذي يُستخدَم في حفظ الأشرطة السينمائية.

فتح «تختخ» العلبة وملأَتِ الدهشة وجوه الأصدقاء ... لقد كان في العلبة فيلم سينمائي ... رفع «تختخ» الفيلم وعرضه أمام الضوء ... فرأى صورًا بها مجموعة من الأشخاص لم يتبيَّنْهم جيدًا ... نظر إلى الأصدقاء وقال: يجب أن ننتقل إلى الصالة حتى نعرض الفيلم.

تحرك الأصدقاء ... غير أن «محب» سأل «عاطف»: لم تقل لنا ماذا رأيت في الخارج!

عاطف: ياه ... لقد شغلتني الحقيبة ... هناك سرقة ضخمة حدثت في فيلا صديقنا «مجدي». توقف «تختخ» الذي كان يسبقهم ... فاقترب منه «عاطف» وهو يهز رأسه ... ابتسم «تختخ» قائلًا: مغامرتان في يوم واحد ... إن هذا كثير!

ضحكَتْ «لوزة» وهي تقول: تعالوا نفتح فرعًا ثانيًا للمغامرين الخمسة!

تقدَّم الأصدقاء داخل الفيلا وجلسوا في الصالة ... بينما كان «تختخ» قد اختفى لإحضار آلة السينما التي عنده ... ولم تمضِ لحظات حتى كان الشريط يدور ... وأُطفِئَت الأنوار.

كان الأصدقاء يحبسون أنفاسهم، وعيونهم مُعلَّقة بالحائط الذي كانت تتتابع الصور عليه ... كان الفيلم مُلوَّنًا، يصوِّر طريق «الكباش» في الأقصر ... وبين صفَّيِ «الكباش» كانت تسير مجموعة من السياح، وبينهم مرشد سياحي يشرح لهم ... كانت كاميرا التصوير تقترب من بعض التماثيل حتى تبدو ضخمة جدًّا ... ثم تتوقف قليلًا وتعود إلى استعراض الطريق ... ثم فجأةً أصبح الشريط أبيض ... أوقف «تختخ» آلة العرض وأضاء النور ... أغلق الأصدقاء أعينهم حتى لا تتأثر بالضوء ... وشيئًا فشيئًا بدءوا يفتحون عيونهم.

بعد لحظاتٍ قال «تختخ»: نحن في حاجة إلى مشاهدته مرة أخرى ... قام وأعاد الفيلم ... ثم أطفأ النور ... وبدأ عرض الفيلم مرة أخرى ... بدأت الصور تتتابع ... فجأةً صاح «عاطف»: أوقِف الفيلم!

أسرع «تختخ» وأوقف الفيلم عند لقطة مُعيَّنة، كانت صورة لأحد «الكباش» وقد رُسِمَ عليه فرع نبات ... ظلَّت اللقطة ثابتة أمامهم ... وقال «عاطف»: ألا يعني هذا شيئًا؟

ظل الأصدقاء يتأملون فرع النبات دون أن ينطق أحدهم بحرف ... قال «عاطف»: فلنكمل الفيلم ... لكن يجب أن نتذكر فرع النبات، فقد ركَّز المصوِّر عليه!

أدار «تختخ» الفيلم ... فبدأت الصور تتحرك ... وفجأة صاح «تختخ»: إنه هو!

محب: مَن؟

تختخ: الرجل الأجنبي الذي قابلني في المحطة.

أعاد «تختخ» الشريط بسرعة ثم أداره ... وعندما جاءت اللقطة التي فيها الرجل، أوقف «تختخ» الفيلم وهو يصيح: انظروا جيدًا.

فجأة ... اختفى الأثر

توقَّفَت صورة الرجل على الشاشة، وظل الأصدقاء ينظرون إليها. كان الرجل طويلًا حتى كان يبدو أطول من الموجودين كلهم ... تبدو على وجهه ابتسامة واثقة ... عيناه يظهر فيهما الذكاء الواضح.

قال «تختخ»: أرجو أن تحفظوا هذه الملامح جيدًا ... فقد نلتقي به.

أدار «تختخ» ماكينة العرض فبدأَتِ الصور في تتابعها، حتى جاءت اللقطة التي يظهر فيها فرع النبات ... أسرع «تختخ» يوقف آلة العرض، وثَبَّت اللقطة، ثم قام من مكانه واقترب من اللقطة ... ثم وضع إصبعه على فرع النبات ... وقال: هل تقصد هذا؟

قال «عاطف»: نعم ... إنه مرسوم باليد ... كأنه إشارة إلى شيءٍ ما ... أو طريق ما!

عاد «تختخ» إلى مكانه ... ثم أدار ماكينة العرض ... فتتابعَتِ الصور من جديد حتى انتهى الفيلم ... أضاء النور فغرقَتِ الغرفة في الضوء ... ولم يفتح الأصدقاء أعينهم مباشرة ... كان لا بدَّ أن يفتحوا عيونهم ببطء حتى تتعود على الضوء ... ظلوا صامتين ... كان كلٌّ منهم يفكر في الفيلم ... أخيرًا قالت «نوسة»: هيَّا ننتقل إلى الحديقة.

خرج الأصدقاء الواحد بعد الآخَر حتى استقروا في الحديقة ... وقال «عاطف»: هل نسيتم جريمة السرقة التي حدثَتْ في فيلا صديقنا «مجدي»؟ أظن أنه يجب أن نذهب إلى هناك.

وقف «تختخ» فنبح «زنجر» الذي كان ينام عند قدمَيهِ ... ثم وقف بقية الأصدقاء وأخذوا طريقهم إلى فيلا صديقهم «مجدي».

وما إن وصلوا إلى هناك حتى كان «مجدي» يأخذهم إلى حجرة الصالون ... حيث عرفوا أن رجال الشرطة قد انصرفوا منذ قليل ... وفي الصالون جلسوا مع الأستاذ «سامح» والد «مجدي» الذي حكى لهم الحكاية ... لقد خرجت أسرة الأستاذ «سامح» يوم الخميس

آخِر النهار؛ لتناول العشاء عند جدة «مجدي» ... وعندما عادوا بعد السهرة وجد الأستاذ «سامح» خزانته مفتوحة، وقد اختفت منها المجوهرات ... سأل «تختخ»: ألم يكن أحد في الفيلا؟

سامح: لا.

تختخ: والشَّغَّالين؟

سامح: الشَّغالة سافرت في إجازة منذ أسبوع، والطباخ يأتي أربع مرات في الأسبوع، ولم يكن موجودًا في تلك الليلة ... والجنايني يأتي ثلاث مرات في الأسبوع، وقد أوصلناه إلى بيته ونحن في طريقنا إلى بيت والدتي ... وهو رجل أمين نعرفه من زمنٍ بعيدٍ.

دخلَتْ والدة «مجدي» تحمل أكواب الليمون ... فقدَّمتها للأصدقاء الذين حيوها وشكروها ... وأخيرًا سألت «نوسة»: هل تسمح لي يا عمي بسؤال عن تلك المجوهرات؟

ردَّ الأستاذ «سامح»: بالتأكيد.

نوسة: هل في مجموعة المجوهرات شيء ذو أهمية خاصة؟

فكر الأستاذ «سامح» قليلًا ثم قال: فعلًا ... هناك تحفة أثرية توارثتها أسرتنا من قديم الزمن ... تمثِّل كبشًا من الذهب في فمه زمردة نادرة.

تختخ: هل هي تحفة مشهورة عالميًّا؟

الأستاذ «سامح»: إلى حدٍّ ما ... فهناك بعض الخبراء الأجانب يحضرون للتفرُّج على المجموعة ... وعادةً ما يبدون إعجابهم بزمردة «الكبش».

وتشعَّب الحديث حول الآثار والمجوهرات المسروقة ... وقال «تختخ»: لسوء الحظ أن المفتش «سامي» — وهو من أكفأ رجال البحث الجنائي — ليس موجودًا ... وإلا لعثر على اللصوص بسرعة.

الأستاذ «سامح»: على كل حال ... يقوم رجال الشرطة ببذل مجهود عظيم ... وقد قام الشاويش «علي» باستدعاء كل خبراء مقاومة هذا النوع من السرقات.

نظر الأصدقاء بعضهم إلى بعض ... وابتسمت «لوزة» ... وقالت: وما هو رأي الشاويش في هذه السرقة؟

ردَّ الأستاذ «سامح»: إنه يبدو متفائلًا!

كادت المقابلة أن تنتهي عندما قامت «نوسة» وهمسَتْ في أُذن «تختخ» ببضع كلمات، ثم عادت إلى مكانها ... وبدَتْ علامات التفكير على وجه «تختخ»، مما استرعى انتباه الأصدقاء ... واستأذن الأستاذ «سامح» ودخل غرفة مكتبه ... وقالت «لوزة» متسائلة: ماذا قالت لك «نوسة» يا «تختخ» وشغل تفكيرك؟!

تختخ: قالت ما كان يجب أن نفكر فيه جميعًا بعد أن سمعنا تفاصيل سرقة المجوهرات ... كان يجب أن نلاحظ أنه ربما كانت هناك علاقة بين «الكبش» الذهبي وطريق «الكباش» الذي ظهر في الفيلم!

عاطف: معها حق ... إنها فكرة «تنطح» أي رأس.

محب: دَعْكَ من الهزار الآن ... لقد خطر لي أيضًا أن جماعة الأجانب الذين رأيناهم في الفيلم ربما كان أحدهم ممَّن شاهد مجموعة المجوهرات.

تختخ: إنكم تقفزون إلى النتائج بسرعة ... من المستحيل أن تحدث مثل هذه المصادفة!

نوسة: ليس في الدنيا مستحيل!

قال «تختخ» موجِّهًا حديثه إلى «مجدي»: هل يمكن أن يأتي والدك معنا لمشاهدة فيلم؟

مجدي: أعتقد أنه سيوافق.

أسرع «مجدي» خارجًا ... وبعد لحظات عاد ومعه والده ... وانتقلوا جميعًا إلى فيلا «عاطف» حيث أدار «تختخ» الفيلم.

ابتسم الأستاذ «سامح» في الظلام وهو يقول: لقد كنت مع هذا الوفد السياحي في الأقصر ... وقد صوَّرْنا هذا الفيلم فعلًا ... لكن يبدو أن بعض أجزائه غير موجود!

تختخ: وهل تعرف هؤلاء الأجانب؟

الأستاذ «سامح»: أعرف بعضهم.

لوزة: لكن حضرتك لم تظهر في الفيلم!

الأستاذ «سامح»: إن الفيلم غير مكتمل ... لكن أين عثرتم عليه؟!

ابتسم «تختخ» وقال — بينما الأصدقاء ينظرون إليه: إنها قصة طويلة، سوف أحكيها لسيادتك فيما بعد!

صمت «تختخ» قليلًا ثم قال: سوف أعيد الفيلم أمامك مرةً أخرى، وهناك شخصية مُعيَّنة سوف أُشير عليها، لعلك تعرفها.

أطفأ «تختخ» النور، ثم أدار آلة العرض ... وبدأ الفيلم يظهر ... وعند شخصية الرجل الأجنبي أوقفَ آلة العرض، ثم أشار إلى الرجل وقال: هذا الرجل، هل تذكره؟

حدَّق الأستاذ «سامح» في الرجل، ثم قال: أذكره ... لكنني لا أعرف اسمه ... أذكر أن بينهم من يُدعى «هوسن» أو «بوسن» ... لا أدري، ولقد زارني في البيت مع آخَرين، وكان ممَّن شاهدوا الزمردة وأبدى إعجابه بها!

عاطف: ألم تره بعد ذلك؟

الأستاذ «سامح»: لا أذكر ... لكن لماذا كل هذه الأسئلة؟

ابتسم «تختخ» وقال: هذا أيضًا يتعلق بتلك القصة التي سوف أحكيها لسيادتك عندما تنتهي كل الأبحاث التي نقوم بها.

استأذن الأستاذ «سامح» ثم انصرف يصحبه «مجدي»، وعندما أصبح الأصدقاء وحدهم، كان يبدو أنهم بدءوا يُكوِّنون فكرةً عن حكاية الرجل الأجنبي، وعن سرقة زمردة «الكبش».

كانت الساعة قد اقتربت من التاسعة مساء ... وكان عليهم أن ينصرفوا. قال «تختخ»: علينا أن نجتمع هنا غدًا صباحًا، لنرى ماذا سوف نفعل ... وأنت يا «عاطف» احتفِظْ بالحقيبة ... وضَعِ الفيلم بداخلها ... لكن لا تنسَ الرقم الذي تُفتَحُ به!

انصرف الأصدقاء ... وصعد «عاطف» و«لوزة» إلى حجرتهما ... وعندما استعدَّا للنوم، كانت الحقيبة السوداء بجوار سرير «عاطف».

كانت أصوات السيارات تصل إلى «عاطف» الذي استغرق في التفكير، ومن بعيدٍ سمع صوت دقات الساعة من خلال الراديو ... كانت تُعلن الحادية عشرة ... فعرف أنه قضى وقتًا طويلًا في التفكير ... وعندما نظر في اتجاه «لوزة» رآها مستغرقة تمامًا في النوم ... اعتدل ومدَّ يده يبحث عن الحقيبة ... كانت موجودة في مكانها ... أغلقَ عينَيهِ ... ولم تَمْضِ دقائق حتى كان قد استغرق في النوم.

عندما استيقظ «عاطف» من نومه ... اتجهَتْ عيناه إلى الحقيبة ... لكنه لم يجدها ... وعندما نظر إلى اتجاه «لوزة» لم يجدها ... ووجد النافذة التي بجوارها مفتوحة.

كان الضوء يغمر المكان ... وأشعة الشمس تدخل في هدوءٍ من النافذة المفتوحة ... لم يتحرك «عاطف» من فراشه ... ظلَّ راقدًا ... كان يفكر: لماذا أخذت «لوزة» الحقيبة؟

ظلَّ «عاطف» يفكر، بينما كانت دقات الساعة تأتيه من الخارج هادئة بطيئة ... كانت الساعة الثامنة ... وعندما بدأ يتحرك من فراشه كانت أفكار كثيرة قد بدأَتْ تغزو رأسه.

السفر إلى هناك

لم يكد «عاطف» يصل إلى الباب حتى كانت «لوزة» تدخل الحجرة، قال لها: صباح الخير ... «لوزة» أين الحقيبة؟

نظرَتْ له «لوزة» في دهشة ... فكيف يسألها عن الحقيبة! إنها كانت بجوار سريره، ولذلك نظرَتْ له قائلةً: صباح الخير ... الحقيبة كانت بجوار سريرك ... هل اختفَتْ؟!

نظر إليها «عاطف» وهو يقول: لا داعي للهزار ... أين الحقيبة؟ هزَّت «لوزة» رأسها في دهشة: لمْ أرها ... ليس في هذا أي هزار!

لم يَرُدَّ «عاطف» ... كان موعد الأصدقاء قد اقترب، فنزلا إلى الحديقة ... ولم تَمْضِ دقائق حتى وصل «محب» و«نوسة»، ثم وصل «تختخ» و«زنجر» ... كان يبدو على الأصدقاء الحماس للعمل ... إلا أن «عاطف» و«لوزة» كانا في حالةِ صمتٍ شديد ... وربما خجلٍ أيضًا ... قال «تختخ»: والآن أيها الأصدقاء، هل توصَّلَ أحدكم إلى فكرة ما؟

تحرك «عاطف» في كرسيه، ثم قال: الفكرة الوحيدة التي خطرَتْ لي هي ... أين ذهبت الحقيبة؟

نظر الأصدقاء إلى «عاطف» غير مصدِّقين ... حتى إن «زنجر» نبح نباحًا قصيرًا، ثم رفع رأسه في اتجاه «تختخ» الذي مدَّ يده يداعبه. سألت «نوسة»: هل اختفَتِ الحقيبة، أم هو مقلب من مقالبك الظريفة؟

أخذ «عاطف» يحكي لهم بالضبط ما حدث منذ دخل الغرفة، حتى راح في النوم، وأنهى حديثه بقوله: الذي أذكره جيدًا أن النافذة كانت مغلقة، فليس من عادتي ولا من عادة «لوزة» أن نتركها مفتوحة!

نظر «عاطف» إلى «لوزة» التي هزَّتْ رأسها تؤكد كلام «عاطف»، وصمتَ الأصدقاء لا يدرون ماذا يفعلون.

أخيرًا قطع «تختخ» صمتهم قائلًا: إن الحقيبة ليس بها سوى الفيلم و«الباسبور»، ونحن قد رأينا الفيلم ... وأظن أننا نذكر تفاصيله جيدًا، فقد شاهدناه مرات عديدة ... علينا أن نفكر جيدًا وبتركيز، خصوصًا وأن «عاطف» قد أشار أمس إلى فرع نباتٍ مرسومٍ على أحد التماثيل في طريق «الكباش»، ثم هناك اختفاء المجوهرات من فيلا صديقنا «مجدي»، وخصوصًا زمردة الكبش!

قالت «نوسة»: أهم ما يجب أن نفعله هو أن نتحرك ... لقد حصلنا على الحقيبة ولم نُبلِّغ الشرطة ... ثم فقدنا الحقيبة ... ويجب أن نستردها.

محب: ليس من السهل استرداد الحقيبة دون معونة الشرطة، وكيف نُبلِّغ عن فقد الحقيبة دون أن نذكر الحقيبة؟ إننا نتخبط.

تختخ: نعم ... لقد كان قرار إخفاء الحقيبة عن رجال الشرطة قرارًا خاطئًا، ولعل هذا يعلمنا ألا نقع في مثل هذا الخطأ في المستقبل.

عاطف: ما رأيكم لو سافرنا إلى الأقصر ... دعونا نفتِّش طريق الكباش هذا ... خاصةً المكان الذي عليه فرع النبات.

تختخ: بالمناسبة ... أي نبات كان؟

سكت الأصدقاء جميعًا، ثم ردَّت «نوسة»: الحقيقة أنه نبات غير مصري ... فقد فكَّرتُ فيه طويلًا ولم أجِدْ أنه ينتسب إلى أي نوع من النباتات التي تُزرَع في مصر.

محب: ما رأيكم أن نسأل الأستاذ «سامح»؟ إنه أستاذ في النبات ... وربما يكون قد شاهد الفرع!

أسرع «تختخ» إلى سماعة التليفون واتصل بالأستاذ «سامح» الذي قال: نعم ... أتذكَّرُ هذا الفرع ... إنه فعلًا ليس من النباتات المصرية ... ولكننا نحاول زراعته في مصر ... وهناك تجارب تُجرَى عليه في جزيرة النباتات في أسوان.

وسكت الأستاذ «سامح» لحظات ثم قال: بالمناسبة ... فإن مجموعة السياح الذين رأيتهم في الفيلم كان في نيتهم زيارة أسوان بعد الأقصر.

تختخ: شكرًا يا سيدي.

وضع «تختخ» سماعة التليفون وقال للأصدقاء: أمامنا رحلة إلى أسوان.

محب: أسوان ... لماذا؟

تختخ: إنني أتصوَّر أن مجموعة الأجانب الذين كانوا في طريق الكباش هم الآن في أسوان ... ففرع النبات الذي رسم على طريق الكباش إشارة إلى أسوان ... وقد علمتُ من الأستاذ «سامح» أنهم ذاهبون إلى أسوان.

دارت مناقشةٌ سريعةٌ ... وسرعان ما استقرَّ رأي المغامرين على أن يقوم «عاطف» بالاتصال بمحطة السكة الحديد، ليسأل عن أول قطار إلى أسوان ... وبسرعةٍ تحرك «عاطف» واتصل بالمحطة ... فعرف أن أول قطار يقوم اليوم سوف يتحرك في الرابعة عصرًا، ويصل إلى أسوان في السادسة مساء الغد ... وأن الأماكن الموجودة قليلة لكثرة عدد السياح. قال «تختخ»: سوف أنطلق الآن لأحجز خمسة مقاعد إلى أسوان، وعليكم أن تُجهِّزوا أنفسكم.

عندما كان «تختخ» يقف أمام شباك التذاكر في المحطة، كانت عيناه تتفحَّصان كلَّ السياح الموجودين. كان يبحث بينهم عن ذلك الرجل الأجنبي الذي شاهده أمس ... والذي أرسل له المظروف، وكان يحاول أن يستمع إلى أحاديثهم، لعله يلتقط اسم «هانز بوسن»، صاحب «جواز السفر» ... كان الصف طويلًا أمام شباك التذاكر ... فظل «تختخ» يرقب صالة المحطة الواسعة بكل حركتها التي لا تتوقف ... وعندما أصبح أمام الشباك تمامًا ... قدَّم النقود إلى موظف التذاكر، ثم سأله: هل أستطيع مصاحبة كلب معي؟

نظر له الموظف قليلًا ثم قال: إن هذا ممنوع ... وهناك عربات لنقل الحيوانات إن كنتَ تريد.

فكَّر «تختخ» قليلًا، وتذكر «زنجر» وكيف يمكن أن يفارقه في تلك المغامرة الجديدة ... ثم في النهاية قال: لا بأس، يمكن أن يركب عربة الحيوانات.

في البيت، أخبر والده ووالدته برحيله إلى أسوان مع المغامرين ... فقال الوالد: هناك في فندق «كتراكت» صديق قديم لي اسمه «مسعود عبد الرحيم» يجب أن تتصل به، وسوف يعاونكم كثيرًا.

قام والد «تختخ» وكتب خطابًا لصديقه القديم «مسعود عبد الرحيم» قدَّمه لـ «تختخ» الذي حيَّا والده، وصحب «زنجر» بعد أن أخذ كل ما يحتاج إليه وانصرف.

في فيلا «عاطف» كان بقية الأصدقاء في انتظار «تختخ» ... وما إن رأوه حتى رفع «عاطف» يده ونظر في ساعته، ثم قال: نستطيع أن نصل إلى المحطة في وقتٍ مناسبٍ.

انطلق الأصدقاء إلى محطة «المعادي» وتوقفوا في انتظار المترو، لحظةً وظهرَتِ الدهشة على وجه «تختخ» ... كان ينظر في اتجاه مُعيَّن ... فاقترب منه «محب» وسأله: ماذا هناك؟

همس «تختخ» في هدوء: هذان ما حدثتكما عنهما أمس ... قال «تختخ» ذلك دون أن يشير في اتجاههما ... لكن «محب» الذي تابع المكان الذي ينظر إليه «تختخ» رآهما ... وصل المترو فقفز الأصدقاء داخله ... وعندما نظر «تختخ» في اتجاه الاثنين لم يتحركا من مكانهما. انطلق المترو ... وجلس الأصدقاء ومعهم «زنجر» يلاحظون تتابع المناظر من النافذة.

قبل الساعة الرابعة كان الأصدقاء يقفون على رصيف محطة السكة الحديد في انتظار القطار المتجه إلى أسوان ... لم تمضِ لحظات حتى سمعوا ميكروفون المحطة يعلن وصول القطار ... استعدوا جميعًا ... حتى إذا وقف القطار عند الرصيف انطلقوا يبحثون عن أماكنهم ... بينما كان «تختخ» يصاحب «زنجر» إلى عربة الحيوانات ... ولما اطمأنَّ عليه عاد بسرعة إلى حيث كان الأصدقاء. كانت حركة المحطة ما تزال نشطة ... المسافرون والمودِّعُون والباعة ...

مضت فترة ثم دقَّ جرس المحطة مُعلِنًا قيام القطار.

نظر «تختخ» حواليه ... كان السياح يملئون القطار ... نظر إلى الأصدقاء ثم هزَّ رأسه ... ففهموا أنه يقصد معنى واحدًا ... إن هذه فرصتنا ... فقد نجد بينهم مَن يصلح ليكون أول الخيط.

تتابعَتِ المحطات حتى خرجوا من بني سويف، وبدأ الغروب ينشر ألوانه فوق الأشياء.

عجلات القطار في دورانها تجعل المنظر كله وكأنه فيلم سينمائي إلى عالَم مجهول.

قال «محب»: لقد بدأتُ أشعر بالجوع!

ابتسمَتْ «نوسة» وهي تفتح حقيبتها، ثم تُقدِّم له بعض الساندويتشات ... وكذلك بقية الأصدقاء.

قام «تختخ» متجهًا إلى بوفيه القطار يطلب لهم شايًا ... كان يمشي بين المقاعد ببطءٍ، متفحِّصًا الوجوه ... لكنَّ شيئًا لم يلفت نظره ... وعندما عاد كان الأصدقاء قد انتهوا من طعامهم ... كان الوقت يمر بطيئًا ... خصوصًا وأن المغامرين كانوا يتمنُّون الوصول بسرعة إلى أسوان ... وعندما بدأت الأحاديث تخفت ثم تنتهي، ويستسلم الجميع للنوم ... كانت «لوزة» أول مَن نام، قال «تختخ» لعاطف و«محب»: علينا أن نقوم بالحراسة بالتناوب ... كلٌّ منا ثلاث ساعات. وسوف أبدأ بحراستكم ... ثم «عاطف»، وأخيرًا «محب».

نوسة: وأنا أَلَا أشارككم حراستكم؟

تختخ: إننا ندَّخِر قواك لما سوف يحدث ... هيَّا نامي ... حتى تكوني مستعدة.

أغلقَتْ «نوسة» عينَيْها؛ فقد كانت تشعر بالرغبة في النوم ... سحبَتِ الغطاء على «لوزة» وعليها ... وكذلك فعل «عاطف» و«محب» ... وظل «تختخ» مستيقظًا.

لم يكن هناك صوت سوى صوت عجلات القطار ودورانها الرتيب ... كان «تختخ» يستمع إلى تلك الأصوات وهو يذكر سريره في البيت الآن، ويتذكر «زنجر» ونومه في عربة الحيوانات.

فجأةً ... سمع «تختخ» صوتًا ... كان الصوت يأتي بعد منتصف العربة بعدة مقاعد ... أنصت «تختخ» أكثر ... وبالرغم من أن المتحدث كان يرفع صوته حتى يسمعه زميله، بسبب ارتفاع صوت العجلات ... إلا أن «تختخ» لم يكن يستمع إلا إلى كلمات متناثرة ... أنصتَ أكثر ... ثم ملأَتِ الدهشةُ وجهه ... لقد سمع اسم «بوسن» ... تصوَّرَ للحظة أنه يحلم ... لكنه ظلَّ مُنصِتًا ... ردَّدَ بينه وبين نفسه «هانز بوسن» ... قام من مكانه بهدوء، وكأنه في طريقه إلى دورة المياه في القطار ... كان يمشي بلا صوت ... ولحسن الحظ كان ظهر المتحدِّثَينِ في اتجاهه؛ فلم يَرَهُ أحدُهما ... تمهَّلَ قليلًا ... فإذا به يسمع مرةً أخرى «صديقنا بوسن» ... حدَّد مكان المتحدث بسرعة، ثم استمر في طريقه ... وصل إلى دورة المياه. توقف بداخلها قليلًا ثم عاد ... كان الظلام يُغطِّي العربة ... حتى إنه لم يستطع أن يرى إلا شبحَيِ الرجلَينِ وقد لاذا بالصمت، وتظاهر بعدم الاهتمام، وسار حتى جلس بجوار «عاطف» وظلَّ مستيقظًا ... نظر في ساعته ... لقد انقضَتْ أربع ساعات ... هل يوقظ «عاطف»؟ إنه لم يكن يشعر بالرغبة في النوم. ولذلك ظلَّ مستيقظًا يترقب أن يستمع مرةً أخرى لهذَينِ السائِحَينِ ... لكنهما لم يتحدثا بعدها ... وعرف أنهما ناما.

بدأتْ أشعة الفجر تتسلل إلى الوجود ... فتح «عاطف» عينَيهِ، ثم نظر إلى «تختخ» ... كان يجلس نائمًا، ابتسم ثم هزَّهُ برفق ... فتح «تختخ» عينَيهِ بسرعة ... وعندما وقعت عيناه على «عاطف» ابتسم ... قام «عاطف» وجلس مكان «تختخ» الذي أخذ مكان «عاطف» ثم استغرق في النوم مباشرة.

بدأَتِ الحركة في العربة، فاستيقظ الأصدقاء ما عدا «تختخ» الذي كان لا يزال نائمًا ... وبدءوا الواحد بعد الآخَر يذهب إلى دورة المياه، ثم يعود ... وبدأت «نوسة» تُقدِّمُ لهم الإفطار ... باسكويت ومربى وقطعًا صغيرة من الجُبن ... كانوا يأكلون وهم ينظرون إلى «تختخ» الذي كان لا يزال مستغرقًا في النوم.

عندما توقف القطار في محطة الأقصر كان «تختخ» قد استيقظ وتناول إفطاره ... وعندما بدأت حركة القطار كان «تختخ» ينظر من النافذة ... وفجأةً صاح: إنه هو!

ذو اللحية الحمراء

كان «تختخ» ينظر إلى شخص يقف على رصيف المحطة، يتحدَّثُ مع آخَر يقف في إحدى نوافذ عربة القطار ... ولم يكن الرجل الواقف على الرصيف إلا الشخص الذي التقى به «تختخ» في بوفيه المحطة ... أكثر من هذا أنه كان يحمل حقيبة سوداء مثل الحقيبة التي أخذها «تختخ» من الأمانات وكان بها الفيلم ... الحقيبة التي سُرقت من غرفة «عاطف» دون أن يعرفوا كيف!

التفَّ الأصدقاء حول «تختخ» الذي حاول الجري والقفز من القطار ... ولكن الوقت كان قد فات ... فقد زاد القطار من سرعته وأصبح النزول منه انتحارًا لا شكَّ فيه.

قالت «لوزة»: ماذا حدث يا «تختخ»؟ إنك شديد العصبية.

تختخ: لقد رأيتُ الرجل الذي أعطاني إيصال الحقيبة على رصيف المحطة الآن، وبيده حقيبة سوداء مثل حقيبة الفيلم ... وكان يتحدث مع شخص!

لوزة: مع أي شخص؟

تختخ: كان يتحدث مع شخص في هذه العربة ... في نهايتها ... لعله أحد الرجلَين اللذين سمعتُهما أمس يتحدثانِ عن «بوسن» ... ولكني لم أتبيَّنْ ملامحهما جيدًا، فقد كانت أضواء القطار مطفأة.

عاطف: هل في إمكانك أن تتعرف عليهما؟

تختخ: سأحاول.

قام «تختخ» وانطلق في ممَّر العربة ينظر هنا وهناك خلسة دون أن يُفْصح عن غرضه ... ودقَّ قلبه سريعًا عندما شاهد رجلًا يُخفي وجهه خلف جريدةٍ انهمكَ في قراءتها ... كان قريبًا من النافذة التي دار منها الحديث ... وتظاهر «تختخ» بأن شيئًا وقع منه ... وانحنى على الأرض يبحث عنه ... واستطاع أن يرى الرجل ... وعرفه على الفور ... إنه

صاحب جواز السفر ... وأدرك أنهم في الطريق الصحيح. أكمل طريقه إلى نهاية العربة ... ثم عاد ليجلس بين الأصدقاء وليخبرهم بما حدثَ أمس.

ظهر الحماس على وجوه الأصدقاء ... وقالت «لوزة»: لو كان معنا «زنجر» الآن، لكنا قد احتفظنا بشيءٍ.

نوسة: ماذا تقصدين؟

لوزة: كان سيحتفظ برائحة الرجل؟

ابتسم «تختخ» وقال: إننا سوف نحتفظ بالرجل نفسه، سنقوم بمراقبته حتى أسوان.

صمت الأصدقاء ... وبدأَتْ صور الجبال والحقول تأخذ انتباههم ... كانت الجبال المرتفعة وقد شقها طريق القطار تجعل داخل العربات مظلمًا قليلًا، ثم تعود العربات إلى الضوء عندما ينتهي أحد الجبال.

نظر «محب» في ساعة يده وقال: إننا نقترب من «أسوان» ... بقيت ثلاث ساعات!

جلس الأصدقاء يرسمون خطة التحرُّك داخل أسوان.

قال «تختخ»: إن أهم شيء أن يظل الرجل تحت أعيننا ... وعندما نتأكد من المكان الذي سوف ينزل فيه ... علينا أن نذهب للحاج «مسعود عبد الرحيم» صديق والدي، فسوف يفيدنا كثيرًا ... وحتى نطمئن على مكاننا.

بدأت آثار أسوان في الظهور مع انتشار الغروب الذي كان يجعل للأشياء معنى مختلفًا ... وعندما توقف القطار في محطة أسوان، كان كثيرون يملئون الأرصفة.

ظل «تختخ» يراقب الرجل ذا اللحية الحمراء ... لكن فجأةً اختفى في الزحام ... أسرع بين السياح يبحث عن الرجل ... لكن صوت الميكروفون شدَّ سمعه ... لقد كان ينادي اسمه ... توقف «تختخ» قليلًا يفكر: هل يعلم أحد في أسوان أنه موجود؟ وهل هو مهم إلى هذه الدرجة؟!

مرةً أخرى ... ارتفع صوت الميكروفون يقول: الأستاذ «توفيق خليل توفيق» يتوجه إلى مكتب ناظر المحطة.

نظر الأصدقاء إلى بعضهم وكان «تختخ» قد عاد إليهم.

عاطف: لقد وصلَتْ شهرتك إلى أسوان!

نوسة: أظن أن والدكَ فعل شيئًا.

اتجهوا إلى مكتب ناظر المحطة ... وقدَّم «تختخ» نفسه ... وما إن نطق باسمه حتى تقدم منه رجل متوسط السن ... طيب الملامح ... ذو لحية بيضاء ... تملأ وجهه ابتسامة رقيقة ... وقال: أهلًا يا توفيق!

نظر «تختخ» إلى الرجل وهو يقدم يده مُحيِّيًا، وأدرك أنه الحاج «مسعود» صديق والده ... قال «تختخ» مبتسمًا: أهلًا يا عم الحاج «مسعود».

قدَّم «تختخ» بقية الأصدقاء للحاج «مسعود» الذي رَحَّب بهم كثيرًا.

ابتسم الحاج وقال: لقد اتصل بي الوالد أمس.

ضحكَتْ «نوسة» وضحك الأصدقاء ... فقال «محب»: لقد كنت على صواب.

بسرعةٍ كان الحمَّالون يحملون حقائب الأصدقاء. اقترب «تختخ» من الحاج وقال له: إن لي كلبًا في عربة الحيوانات لا بدَّ أن أصحبه الآن.

وفي لحظات كان «زنجر» يقفز حول الأصدقاء سعيدًا بخروجه من العربة وبانضمامه إليهم.

وفي خارج المحطة كانت سيارة في انتظارهم ... وعندما كانوا يغادرون باب المحطة ... كان «تختخ» ينظر حواليه بحثًا عن الرجل ... لكنه لمْ يَرَ أحدًا ... غير أن السياح كانوا يركبون عربات الأتوبيس الكبيرة ... سأل «تختخ» الحاج «مسعود»: عمي، هل تعرف أين نزل هؤلاء السياح؟

الحاج: في الفنادق الكبرى ... ولدينا هنا عدد منها.

تختخ: أقصد هل تعرف في أيها ينزل هذا الفوج بالذات؟

ابتسم الحاج وهو يقول: طبعًا ... إنني أعرف كل شيءٍ عن حركة السياحة هنا ... لأنني أعمل بها.

نوسة: أين ينزلون إذن يا عمي؟

الحاج: إنهم ينزلون في فندق «نيوكتراكت» ... وهو لا يبعد كثيرًا، فكل الفنادق الكبرى تقع كلها تقريبًا في منطقة واحدة.

تختخ: ونحن أين سننزل؟

الحاج: أين؟ في ضيافتي طبعًا ... إنني أمتلك بيتًا كبيرًا ... وسوف يفرح أولادي كثيرًا بوجودكم.

لم يكن الأصدقاء يريدون أن يبتعدوا عن مكان الرجل الآخَر، فوجودهم في بيت الحاج «مسعود» قد يعطلهم، أو قد يكشف طبيعة الرحلة التي يقومون بها، لكنهم لم يستطيعوا الاعتراض، فركبوا السيارة التي انطلقت بهم إلى البيت. في الطريق كان الحاج «مسعود» يتحدث إليهم ويشرح لهم الأماكن التي يمرون بها ... في النهاية ... وصلت السيارة إلى خارج المدينة ... حيث شاهدوا بيتًا كبيرًا تحوطه حديقة خضراء ... قال الحاج: ما رأيكم؟ هذا بيتي.

تقدَّمَتِ السيارة حتى دخلَتِ الحديقة ... ووقفَتْ أمام باب البيت مباشرة. كان أولاد الحاج «مسعود» يقفون على الباب في انتظار الأصدقاء، وقدَّمهم الحاج: «فريد»، «مصطفى»، «فاطمة». صمت قليلًا ثم قال مبتسمًا: هؤلاء هم الصغار؛ أمَّا الكبار فكلهم في أعمالهم.

التقى الأصدقاء بأبناء الحاج الذين رحَّبوا بهم كثيرًا، ودخلوا جميعًا البيت، وقال الحاج: الآن، هذا بيتكم وعليكم أن تتصرفوا كما تريدون، أمَّا أنا فسوف أذهب إلى المحل.

انصرف الحاج، وسأل «تختخ»: عزيزي «فريد» ... هل عمي الحاج يعمل في فندق «كتراكت»؟

فريد: لا، لقد استقال وفتح عملًا لبيع الحُلِيِّ والآثار في الفندق، كما أن لنا محلًّا آخَر في وسط المدينة.

تختخ: هل نستطيع أن نذهب إلى هناك؟

فريد: طبعًا ... غدًا صباحًا سوف نذهب إلى هناك، وسوف أجهِّز لكم برنامجًا حافلًا ... كم يومًا ستبقون معنا؟

نظر «تختخ» إلى الأصدقاء ثم قال: لمدة ليسَتْ محددة ... فهي مرتبطة بشيء نقوم به ... والآن، نريد أن نجلس في الحديقة.

تقدَّم الأصدقاء إلى الحديقة، ومعهم «فريد» و«مصطفى» و«فاطمة».

كانت حرارة الجو قد بدأت تنكسر، وهواء رقيق يصافح وجوه الأصدقاء ... غير أنَّ الأصدقاء لم يسهروا كثيرًا ... فقد شعروا بالتعب بسبب طول السفر ... وبسبب الرغبة في القيام مبكرًا حتى يبدءوا العمل الذي جاءوا من أجله. كانت غرف النوم قد جُهِّزت ... ونزل «عاطف» و«محب» و«تختخ» في حجرة ... و«لوزة» و«نوسة» في حجرة أخرى ... أمَّا «زنجر» فقد نام بجوار سرير «تختخ».

استغرق الأصدقاء في النوم مباشرة ... وكان أول مَن استيقظ منهم «تختخ» الذي أيقظَ «عاطف» و«محب»، وعندما كان «تختخ» يقترب من الباب سمع صوت أقدام في البيت ... فعرف أن الجميع قد استيقظوا.

تناول الجميع إفطارًا سريعًا، ولم يجدوا الحاج «مسعود».

سأل «تختخ» عنه ... فعرف أنه يخرج مبكرًا ... فحركة العمل في أسوان تستغل فترة الصباح الباكر في العمل؛ نظرًا لارتفاع الحرارة وسط النهار.

انطلق الأصدقاء إلى فندق «كتراكت» حيث ينزل الوفد السياحي، وحيث يوجد محل الحاج «مسعود». كانت السيارة تنطلق بهم على كورنيش النيل ... فقالت «لوزة»: إنَّ النيل في أسوان أوسع كثيرًا من النيل في القاهرة!

فريد: إنَّ الصخور هنا تعطي للنيل صورته الطبيعية، وهذا ما يجعله مُمتِعًا فعلًا ... بجوار أن المنظر جديد عليك.

استغرق الأصدقاء في مشاهدة النيل ... حتى توقفَتِ السيارة أمام مبنى مرتفع رائع ... وقال «مصطفى»: هذا هو الفندق ... هيَّا بنا.

نزلوا مُسرعين ... وقادهم «فريد» إلى حيث يقع محل والده ... كان مُوظَّفو الفندق يُرحِّبون بهم ويُسلِّمون على «فريد» و«مصطفى». وعندما توقفوا أمام المحل ابتسم الحاج «مسعود» وهو يرحب بهم. كانت هناك مجموعة من السائحين يشترون التماثيل ومنتجات خان الخليلي ... كانت عينا «تختخ» تجري على وجوه السياح، يبحث بينهم عن الرجل ذي اللحية ... وسرعان ما ظهرَتِ اللحية الحمراء.

الهجوم

لقد ظهر ذو اللحية وبيده نفس الحقيبة السوداء ... فكَّر «تختخ» بسرعة: إن «عاطف» يجب أن يختفي، فربما عرفه الرجل، فكيف وصلت الحقيبة إليه إن لم يكن هو نفسه الذي سرقها؟ اقترب «تختخ» بسرعة من «عاطف»، وهمس في أذنه بما يفكر فيه، ثم أشار إلى الرجل الذي كان منهمكًا في حديث مع الحاج «مسعود» حول شراء بعض الأشياء.

كان بقية الأصدقاء مُنهمِكين في مشاهدة الآثار ومشغولات خان الخليلي ... وهذا أعطى فرصة لـ «تختخ» و«محب» أن ينصرفا بهدوءٍ.

اقترب «تختخ» من «فريد» وجذبه ناحيته ثم سأله: هل يقوم الوفد برحلة إلى النيل؟

فريد: من الضروري، وسوف يذهبون إلى جزيرة النباتات.

عاطف: متى؟

فريد: سوف أعرف الآن؟

اقترب «فريد» من أحد عمال المحل وسأله ... تحدث العامل مع أحد السياح ثم نظر «لفريد» وقال: الآن ... فهي أول زيارة سوف يقومون بها بأسوان.

عندما زجر «فريد» «تختخ» و«عاطف» ... قال «تختخ» بهدوء: إذن ينبغي أن نكون معهم.

فريد: ولماذا معهم؟! إننا نستطيع أن نكون بمفردنا.

انصرف السياح، وركبوا سيارة الأتوبيس الكبيرة التي ستنقلهم إلى «لنش» ضخم يرسو بعيدًا عن الفندق.

أبدى «تختخ» رغبته في أن يذهب الأصدقاء إلى «جزيرة النباتات»، ولم تمضِ لحظات، كان المركب الشراعي يشق طريقه إلى الجزيرة، وفيه الأصدقاء، ومعهم «فريد» و«مصطفى».

لوزة: رحلة رائعة.

نوسة: الأروع منها أن نلتقي بأصدقائنا هناك.

فريد: هل لكم أصدقاء هنا؟

تختخ: إنها تقصد أصدقاءنا المصريين القدماء ... ثم ابتسم وأضاف: أجدادنا!

ضحك الجميع ... اقترب «محب» من «تختخ» وهمس: هل رأيت شيئًا؟

تختخ: نعم ... ذا اللحية!

ظلَّتِ المركب تتهادى على صفحة النيل ... كان الجو رائعًا في هذا الوقت من النهار. ومن بعيد رأى «تختخ» اللنش الضخم الذي يَقِل الوفد السياحي في طريقه إلى جزيرة تتوسَّط مجرى النيل.

لوزة: هل مجموعة الأشجار هذه جزيرة؟

مصطفى: نعم ... وهي جزيرة بها نباتات نادرة.

لوزة: نباتات فقط؟

مصطفى: بها أيضًا متحف متوسط الحجم، يضم عددًا من التماثيل الفرعونية وأشياء أخرى ظريفة.

نوسة: تقصد تماثيل ظريفة؟

فريد: لا ... إنه يقصد بعض الأشياء التي كان المصريون يستعملونها ... مثل المرآة ودبابيس الإبرة، وغيرهما من الأدوات المنزلية، لا تزال مُستخدَمة حتى الآن.

ثم ابتسم «فريد» وأضاف: هل تذكرون لعبة البلي التي نلعبها في بعض الأحيان؟

محب: نعم!

فريد: القدماء أيضًا كانوا يلعبونها، وسوف تَرَوْنَ أنواع البلي «الفرعونية».

ضحك الأصدقاء، ومن بعيدٍ سمعوا أغنيات تنقلها النسائم اللطيفة إليهم، قال «مصطفى»: هذه هي الأغاني النوبية ... ولها — كما تعرفون — طابعها الخاص!

كانت الجزيرة تقترب أكثر فأكثر، لكن لم يكن يظهر سوى مجموعة ضخمة من الأشجار التي تمثل الجزيرة.

وعندما وقفت المركب بجوار الجزيرة، كان «اللنش» يقترب هو الآخَر، لكنهم كانوا أسرع النزول والصعود إليها ... هناك استقبلهم بعض المُوظَّفين الذين رحَّبوا بهم، عندما عرفوا أنهم ضيوف الحاج «مسعود».

اقترب «فريد» منهم وقدَّم لهم شابًّا أسمر طيب الملامح، مبتسِمًا دائمًا: «مجيد» ... ابن خالي ... إنه يعمل في الجزيرة.

تقدم «مجيد» مُرحِّبًا ثم اصطحبهم إلى داخلها ... كانت «الجزيرة» عبارة عن كتلة كبيرة من الأشجار ... ولم يكن يظهر داخلها أي شيء. مجرد نباتات كثيرة وطرقات ضيقة ... لكنها كانت مُنظَّمة تنظيمًا بديعًا ... وأمام عدد من النباتات وقف «مجيد» يشرح لهم ندرتها وأهميتها.

فجأةً، سمعوا أحاديث الوفد السياحي، وعندما نظر «تختخ» في اتجاههم، لم يجد بينهم مَن يعرفه، لكن فجأةً أيضًا اقتربت مجموعة أخرى من السياح، وسمع صوتًا عاليًا ينادي: هاي ... «هانز»، أين أنت؟

سمع آخر يرد: هاللو «ناش» ... لعلك أنت في مكان الأمس!

اقترب الوفدان، ودارت أحاديث، كان «تختخ» قد اقترب هو الآخَر من «هانز» و«ناش». فكَّرَ بسرعة: إذن، هذا «هانز» والآخَر هو «ناش» الذي قابلتُه في المحطة.

أسرع يجذب «عاطف» من ذراعه، ثم أخبره بما رآه. قال «عاطف»: إننا لا نستطيع أن نتحرك نحن الخمسة ... علينا أن نجدهم، وأن نبدأ نحن عملنا.

أسرع «عاطف» إلى بقية الأصدقاء، وبهدوء أخبر كلَّ واحد بمفرده، حتى لا يلفت نظر أحد، كان الاتفاق أنهما إذا غابا عنهم فعليهم أن يخبروا «مجيد».

كان «هانز» و«ناش» يقفان وحدهما يتحدثان ... اختفى «تختخ» قليلًا ثم أخرج الكاميرا وأخذ يلتقط لهما صورًا عديدة ... في نفس الوقت الذي كان يقف فيه «عاطف» يرقبهما.

فجأة، تغيَّرَتْ ملامح «ناش» وهو ينظر في اتجاه «عاطف» ... ثم همس بشيءٍ «لهانز» ... مشى «عاطف» بعيدًا عنهما، لكنهما تبعاه. شاهد «تختخ» ما يحدث، فعرف أن «ناش» قد تعرَّف على «عاطف» ... كان لا بد أن يتصرف بسرعة. أسرع في خطواته حتى اقترب من «عاطف»، ثم مشى بجواره وهمس في أذنه: كُنْ عاديًّا ... قفْ لألتقط لك بعض الصور!

توقَّفَ «عاطف» وبدأ «تختخ» يلتقط له بعض الصور، في نفس الوقت الذي كان «هانز» و«ناش» يقتربان. نظر «تختخ» حواليه فلمْ يَرَ أحدًا ... كان من الواضح أنهما توغَّلا في الجزيرة ... ولأنهما لا يعرفان طرقاتها فقد كانت عودتهما صعبة.

اقترب «تختخ» من «عاطف» ثم قال: إننا سوف ندخل معركة الآن!

اقترب «هانز» و«ناش» حتى وقفا أمامهما. قال «ناش»: هل أنتما من أسوان؟!

تختخ: نعم ... نحن من أسوان ... وعائلتنا كلها هنا.

هزَّ «ناش» رأسه وقال: إذن، أنتما تعرفان الجزيرة جيدًا!

تختخ: إلى حد ما ... فنحن لا نأتيها كثيرًا.

ابتسم «هانز» وقال: هيًّا نلتقط صورة تذكارية؟

ابتسم «ناش» أيضًا، ثم اقترب من «عاطف»، بينما كان «تختخ» يستعد لالتقاط الصورة. عندما أصبح «عاطف» يقف بين «ناش» و«هانز» ... وعندما كان «تختخ» يرفع الكاميرا أمام عينيه، طارت الحقيبة السوداء في اتجاه وجه «تختخ»، بينما كان «هانز» يلكم «عاطف» لكمة طوَّحته بعيدًا.

كان «تختخ» قد استطاع أن يتفادى الحقيبة ... لكنه لم يَكَدْ يتحرك من مكانه حتى كان «ناش» قد قفز فوقه وهو يضرب الكاميرا بيده، فتسقط على الأرض، غير أن «تختخ» كان أسرع حركةً منه، ففاجأه بلكمة قوية بين عينَيهِ، جعلت «ناش» يهتز وإن كان لم يتأثر كثيرًا ... أسرع «تختخ» يلتقط الحقيبة، ثم قذفها بقوة، فارتفعَتْ بين الأشجار.

وقف «هانز» و«ناش» مذهولَينِ لحظةً ... ثم سُمِعَ صوتُ الحقيبة وهو يصطدم بشيءٍ طريٍّ.

قفز «تختخ» طائرًا في الهواء؛ إلا أن «هانز» استطاع أن يتفاداه، بينما استطاع «ناش» أن يقبض على ذراعَيْه ... عندما استقر على الأرض كان «عاطف» لا يزال مُلقًّى على الأرض، وأخرج «هانز» من جيبه سلكًا رفيعًا ثم بدأ يُقيِّد «تختخ» ... في نفس الوقت كان «ناش» قد كمَّم «تختخ» بمنديل حتى لا ينادي أحدًا، تركه الاثنان وأسرعا إلى «عاطف» وكمَّماه وقيَّداه، ثم ربطاه إلى شجرة خلف الأعشاب بين مجموعة من شجرات الورد. أما «تختخ» فإنهما اقتاداه بسرعة إلى كهف يختفي بين الصخور، ثم أدخلاه فيه وربطا رجلَيْه.

ضحك «ناش» وهو يقول: أرجو ألا تَمُرَّ أيام طويلة قبل أن يعثروا عليك!

ثم اختفى الاثنان.

انتصف النهار ولم يظهر «تختخ» أو «عاطف» أمام الأصدقاء.

وكانت أفواج السياح قد بدأَتْ تغادر الجزيرة، وتتجه إلى اللنش الكبير الذي أبحر مبتعدًا عن الشاطئ.

قال «محب»: لقد تأخرا!

فريد: لعل المناظر الجميلة في الجزيرة قد سحرتهما ... لا تخافوا فنحن نعرف كل أجزاء الجزيرة.

نظرَتْ «نوسة» إلى «لوزة» ثم إلى «محب» وقالت: لقد انصرف السياح، واختفاء «تختخ» و«عاطف» يحمل وراءه شيئًا.

مصطفى: ماذا تقصدين؟

كانوا يقفون على شاطئ الجزيرة واللنش الكبير يبتعد، حتى كاد يصل إلى الشاطئ الآخَر.

قالت «نوسة»: يجب أن نبحث عنهما فورًا، فإن قلبي يُحدِّثني أنهما في خطرٍ شديدٍ!

فجأةً، صاح «محب»: انظروا! ما هذا؟!

لقاء غير مُتوقَّع

نظر الأصدقاء إلى حيث أشار «محب» ... كانت الحقيبة السوداء تطفو على سطح الماء قريبًا من الشاطئ، وقد اختفى نصفها تقريبًا بين الحشائش ... أسرع «فريد» بالنزول إليها وانتشلها. نظر إلى الحقيبة ثم إلى الأصدقاء وقال: إنها مُغلَقة!

هزَّ الأصدقاء رءوسهم، ومدَّ «محب» يده يأخذها ... ثم قدَّمها لـ «نوسة» وهو يقول: أظن أنكِ ما زلتِ تذكرين الرقم؟!

كان «فريد» و«مصطفى» ينظران إليها دون أن يفهما شيئًا ... بينما كانت «نوسة» تدير الأرقام حتى تجمع الرقم الصحيح ... وبسرعة كانت الحقيبة قد فُتِحَت، لكن لم يكن بداخلها سوى كتاب ضخم باللغة الإنجليزية ... قال «مصطفى»: هل هذه الحقيبة لواحد منكم؟

محب: لا، لكن خلفها حكاية طويلة مثيرة سوف نحكيها لك، المهم الآن أين «تختخ» و«عاطف»؟

لوزة: أظن أنهما قد تقابلا مع الرجل ذي اللحية!

فريد: مَن هو هذا الرجل؟

محب: ستعرف ... المهم الآن البحث عن «تختخ» و«عاطف».

ثم نظر إلى «فريد» وقال: هل تعرف الجزيرة جيدًا؟

فريد: نعم.

تحرَّك الأصدقاء بسرعةٍ في أنحاء الجزيرة بعد أن قسَّما أنفسهما إلى قسمَين، وانطلقوا ينادون ويبحثون.

كان «تختخ» في الكهف يحاول أن يتخلص من قيوده. في نفس الوقت الذي كان «عاطف» قد بدأ يفيق من الضربة القوية التي نزلَتْ على رأسه وينظر حوله ... وسمع صوت أقدام الأصدقاء، فأخذ يضرب الأرض بقدمه.

أنصتَ «مصطفى» قليلًا، ثم اتجه إلى مجموعة من الحشائش حول شجرة ضخمة، كان الصوت يبدو واضحًا أكثر ... دخل «مصطفى» بين الحشائش ... بينما كان «محب» و«لوزة» يتبعانه.

ثم صاح «مصطفى»: إنه «عاطف»!

وصاح «محب»: «عاطف» ... «عاطف»!

تردَّدَ صوت «محب» في أنحاء الجزيرة الهادئة الصامتة، فنظرَتْ «نوسة» إلى «فريد» ثم قالت: هل تسمع؟! يبدو أنهم عثروا على «عاطف»!

فريد: إنني لا أفهم شيئًا!

نوسة: سوف تفهم ... هيَّا بنا في اتجاه مصدر الصوت.

تردَّد الصوت مرةً أخرى ... أشارت «نوسة» إلى اتجاه مصدر الصوت فتبعاه، في نفس اللحظة التي كان «مصطفى» يفك قيود «عاطف» الذي بدا مُتْعَبًا ... قال «عاطف» بعد أن نزع «محب» المنديل عن فمه: أين «تختخ»؟

محب: لقد كنتما معًا ... ونحن لا ندري شيئًا؟ ماذا حدث؟

حكى لهم «عاطف» ما حدث بسرعة، ثم قال: هل رأيتم السياح جميعًا؟

لوزة: لقد رحلوا.

عاطف: جميعًا؟

مصطفى: أظن ذلك!

عاطف: إذن «توفيق» في مكانٍ قريبٍ هنا.

وصلَتْ «نوسة» و«فريد» ... أسرع «عاطف» إليهما، فقد رأى الحقيبة ... وأسرعت «نوسة» تطمئن عليه ... أخذ الجميع يفحصون المكان شِبرًا شِبرًا ... غير أنهم لم يعثروا على «تختخ» ... ولم يكن أمامهم إلا الاستنجاد «بمجيد». قال «عاطف»: «فريد» يجب أن نستدعي «مجيد» فورًا، إنه بالتأكيد يعرف كلَّ الأماكن هنا.

وصل «مجيد» و«مصطفى»، فأخبره «عاطف» بما حدث بسرعة.

استدعى «مجيد» عددًا ممَّن يعملون معه، وأشار إلى أماكن كثيرة ينتشرون فيها بحثًا عن «تختخ». وكان مكان اللقاء استراحة الجزيرة، انتشر الجميع.

ذهب الأصدقاء جميعًا مع «مجيد» يدورون في الطرقات الضيقة للجزيرة، ويفتِّشون داخل الحشائش. طال البحث، حتى انتصف النهار. نظر «عاطف» إلى «مجيد» وقال: ما هو موعد إقلاع طائرات الركاب هنا؟

مجيد: طائرة واحدة، فحركة السياحة تعتمد على القطارات أكثر، وقد طارت منذ نصف ساعة!

فكَّر «عاطف» قليلًا ثم نظر إلى الأصدقاء وقال: ينبغي أن أنزل إلى المدينة الآن لأبلغ الشرطة، إن أمامنا وقتًا ضيقًا يجب أن نستغله وبسرعة.

قال «عاطف»: سنلتقي في منزل «الحاج».

أسرع «عاطف» و«فريد» إلى القارب الشراعي الذي أخذ يتحرك ببطء في تلك الساعة من النهار، فلم تكن الرياح طيبة ... وكانت درجة الحرارة قد ارتفعت. اضطُرَّ «عاطف» و«فريد» أن يساعدا بحَّار المركب في إنزال المجاديف، ثم أخذا يجدفان بنشاطٍ وحماسٍ ... في نفس الوقت كان البحث يدور عن «تختخ» دون أن يظهر.

وفي نفس اللحظة أيضًا كان «تختخ» يحاول أن يتبيَّن الأشياء حوله ... كان الضوء الآن أقوى قليلًا ... حتى إنه استطاع أن يرى فتحة «الكهف» ... حاول أن يتحرك لكن القيد كان قويًّا ... ظلَّ يحرك ساقَيْه في محاولة لتوسيع القيد قليلًا ... فقد كانت الأسلاك تؤلمه ... شعرَ بشيءٍ لزج يسيل على قدميه ... لقد جرحته الأسلاك فسال الدم ... لكن الأسلاك أصبحَتْ في النهاية أوسع قليلًا.

ثَبَّتَ قدميه في جانب «الكهف»، ثم دفع نفسه بقوة، فتدحرج في اتجاه فتحة «الكهف». ظل يحاول الزحف حتى وصل إلى الفتحة، وظل في محاولته حتى استطاع أن يخرج رأسه من الفتحة.

في هذا الوقت كان «مجيد» يقول: لم يبقَ أمامنا سوى الكهوف ... إن هناك عددًا منها؟

أسرع الأصدقاء معه يدخلون الكهف بعد الآخَر في نفس اللحظة التي كان فيها «عاطف» و«فريد» قد اقتربا من الشاطئ.

كانت «نوسة» قد انفردت بالسير في اتجاه وحدها ... وفجأةً، رأَتْ رأس «تختخ» تبرز من بين الحشائش، فصاحت: «تختخ» ... «تختخ»!

وأسرع الجميع إليها.

وعندما أخذ «تختخ» يتحامل مستنِدًا على ذراعَيْ «مجيد» و«محب» ... كان «عاطف» و«فريد» قد قفزا إلى الشاطئ، ثم أسرعا جَرْيًا إلى قسم شرطة أسوان، وما إن دخلا القسم حتى توقف «عاطف» وصاح: لا يمكن ... لا أتصور، هذه مفاجأة لا نتوقعها!

قال الصوت الهادئ الذي يعرفه «عاطف» جيدًا: أهلًا «عاطف» ... هل أنت وحدك هنا؟

عاطف: إننا دائمًا معًا!

الصوت: لعلها رحلة مُوفَّقة، أو مغامرة جديدة!

عاطف: مغامرة جديدة!

اقترب «عاطف» ومدَّ يده مُحيِّيًا: أهلًا بالمفتش «سامي» ... ثم قدَّم له «فريد».

وبسرعة روى «عاطف» للمفتش «سامي» المسألة من البداية، وابتسم المفتش «سامي» وهو يقول: اطمئنْ، كلُّ شيءٍ على ما يُرام.

أسرع المفتش «سامي» مع «عاطف» و«فريد»، بينما كانت سيارة الشرطة في طريقها إلى حيث محطة الركاب البحرية التي يرسو عندها «اللنش»، قال «عاطف»: لقد وجَدْنا كتابًا ضخمًا بالإنجليزية داخل الحقيبة!

ابتسم المفتش «سامي» وهو يقول: أعرف ... أنا الذي قدمت لهما هذا الكتاب.

نظر «عاطف» في دهشةٍ، بينما كانت السيارة تقطع الطريق.

وعلى المحطة كان بقية الأصدقاء قد وصلوا، وأصابتهم الدهشة عندما شاهدوا المفتش «سامي» ... أسرع الأصدقاء إليه وهم يشعرون بالفرح ... والتفُّوا حوله ... فهُمْ أيضًا لم يكونوا يتوقَّعون وجود المفتش «سامي» في أسوان.

كان «تختخ» يريد أن يعرف ماذا يجري؟! فقال المفتش «سامي»: سوف نرحل الليلة إلى القاهرة.

تختخ: كيف أتيت إلى هنا؟ هل عندك معلومات عمَّا يدور؟

سامي: إن هناك طائرة في انتظارنا.

تختخ: ولكن ... هناك عشرات الأشياء التي من ...

ولم يكد يبدأ الكلام، حتى ابتسم المفتش «سامي» وهو يقول: هناك مفاجأة في انتظارك؟

عندما يسرق رجال الشرطة!

عندما ارتفعَتِ الطائرة في الفضاء، كان الأصدقاء ينظرون من نوافذها، يرون «أسوان» و«السَّد العالي» الذي تمنَّوْا لو زاروه بعد المغامرة، لكن الوقت لم يكن يسمح ... وعندما أخذَتِ الطائرة ارتفاعها، لم يكن يظهر أمامهم سوى السحاب، وكأنهم يرون كتلًا من القطن. لم يكن المفتش «سامي» قد تحدَّث إليهم بعدُ، كان يرقبهم وهو يبتسم، فقد كان يعرف أنهم ينتظرون أن يخبرهم في تلك اللحظة ... ضحكَتْ «لوزة»، فقال المفتش «سامي»: لا تكشفي الموقف الآن أيها الصديقة ... إنَّ عليهم أن يفكروا قليلًا.

نظر الأصدقاء إلى «لوزة» التي ابتسمت ولكنها لم تتكلم.

قال المفتش «سامي»: سوف أخبركم بكل شيءٍ عندما نصل إلى هناك، وتجدونهم في انتظاركم.

صمت الأصدقاء، بينما أخذ «تختخ» يُقلِّب الكتاب الضخم، محاولًا أن يفهم منه شيئًا بعد أن عرف أن المفتش «سامي» هو الذي وضع لهم الكتاب في الحقيبة.

مضى الوقت بطيئًا، فقد كان الأصدقاء يريدون أن يصلوا سريعًا إلى القاهرة. وعندما نزلَتِ الطائرة في مطار القاهرة، أسرع الأصدقاء إلى الباب ينزلون جَرْيًا، وعندها استقلوا سيارة الشرطة، حيث كان يجلس بينهم المفتش «سامي».

قال «تختخ»: أظن يجب أن نعرف الآن ... لقد وصلنا القاهرة.

ابتسم المفتش «سامي» وقال: سوف أخبركم؛ لأنني أعرف أنكم قابلتم ألغازًا كثيرة ونجحتم دائمًا في حلها ... ولكني في هذه المرة اشتركت في عمل اللغز، وفي وضع نهايته.

نظر إليه الأصدقاء في دهشةٍ ... خاصة «تختخ».

صمت المفتش قليلًا ثم بدأ يشرح لهم ما حدث:

كان البوليس الدولي «الإنتربول» قد أرسل إلى المفتش «سامي» يخبره أن عصابة لتهريب الآثار تقوم بنشاطٍ كبير في تهريب التماثيل والمجموعات الذهبية التاريخية، بين مصر وبلاد كثيرة من العالم ... وأن على رجال الشرطة في مصر أن ينتبهوا لهذه المسألة ... خصوصًا وأن السياحة بدأَتْ تنشط في «مصر» ... وأسرع المفتش «سامي» بوضع مراقبين في محطات «مصر» وفي المطارات ... وعندما كان «تختخ» في محطة «مصر» مُتَخفيًّا ... كان هناك اثنان يراقبان حركة المحطة ... فاشتبها في الأجنبي الذي أرسل لـ «تختخ» المظروف ... لم يكن المراقبان يعرفان «تختخ» في هذه اللحظة ... لكنهما ظلا يراقبان خطواته ... حتى اكتشفا أنه متخفٍّ، ومن هنا بدأ الخيط ... فقد عرفوا الرجل الأول «ناش»، وهو الذي قدم لـ «تختخ» المظروف ... ولقد كانت الشرطة على علم بسرقة مجوهرات الأستاذ «سامح»، فقد كان بينها زمردة «الكبش»، وهي تحفة تاريخية يَسِيلُ لها لُعاب العصابات ... وظلت الشرطة تراقب بيت الأستاذ «سامح» وبيوت الأصدقاء ... فعرفوا حكاية الحقيبة والشريط السينمائي ... وكان الرجلان اللذان كانا يراقبان «تختخ» في محطة «المعادي» ثم في محطة «مصر»، هما من رجال الشرطة السِّرِّيين ... لقد كانت تحركات الأصدقاء كلها معروفة للشرطة ... وكان المفتش «سامي» قد جاء إلى «الأقصر» و«أسوان» خلف أفراد العصابة ... أمَّا حكاية الكتاب الذي وُجِدَ في الحقيبة، فقد دسَّه رجال المفتش «سامي» على العصابة ... وأخذ الفيلم منها أثناء سير القطار بين القاهرة وأسوان.

نظر له الأصدقاء، وابتسموا ... وبدأ المفتش «سامي» يكمل لهم بقية التفاصيل.

عرفوا أن العصابة قد استطاعت أن تسرق بعض تماثيل فرعونية صغيرة، تمثِّل العجل «أبيس» الذي كان الفراعنة يعبدونه ... وبعض هذه التماثيل من الذهب ... وعندما كانوا يتحركون ... كانت الشرطة خلفهم إلى أسوان ... فقد كان المفروض أن يلتقي اثنان من كبار العصابة في جزيرة «النباتات» كما اكتشف الأصدقاء ... وقد استغلوا الفرصة، وجاءوا ضمن وفد سياحي حتى لا ينكشف أمرهم ... وكان من بين أعضاء الوفد السياحي بعض أفراد الشرطة السِّرِّيين الذين تَخَفَّوْا في صورة مُرشِدين سياحيين، كما كان هناك أيضًا بعض رجال شرطة «الإنتربول»، وعند عودتهم من الجزيرة إلى الفندق كان رجال الشرطة في انتظارهم ... فتم القبض عليهم ... وعُثِرَ على المسروقات في حقائبهم ... ونُقلوا إلى القاهرة بطائرة خاصة.

ضحك المفتش «سامي» وقال: والآن ما رأي الأصدقاء؟!

نظر الأصدقاء إلى بعضهم ... ثم قالت «نوسة»: لقد طارت منا المغامرة. المفتش «سامي»: أبدًا، لقد بدأتم أنتم المغامرة، ونحن أكملناها بمساعدتكم أيضًا!

وفي مكتب المفتش «سامي» قال «تختخ»: هناك أسئلة كثيرة يا حضرة المفتش.

المفتش: إنني على استعداد للإجابة على أي سؤال.

تختخ: مثلًا ... كيف سُرِقَت الحقيبة من منزل «عاطف»؟

المفتش: نحن الذين سرقناها ... وأعدناها بطريقة خاصة إلى العصابة، فقد كنا نريدهم أن يطمئنوا تمامًا حتى لا يغيروا خطتهم.

تختخ: ولماذا لم تخبرنا بتحركات الشرطة؟

المفتش: رأيت أن أترككم تتصرفون وحدكم ... كنت أريد أن تحس العصابة أن من يطاردهم مجموعة من الأولاد الهواة، فلا يبالغون في الحذر!

لوزة: ولكن الفيلم الملون ... ماذا كان المقصود منه؟

المفتش: في البداية كانت خطة العصابة أن يلتقوا جميعًا في الأقصر، ثم يتسلَّمون الأشياء المسروقة، ويطيرون إلى القاهرة ... ويركبون من المطار مباشرة ... ولكن لأن خط الطيران إلى الأقصر مُعطَّل؛ فقد صوَّروا الفيلم وأعادوه إلى القاهرة، وفيه إشارة إلى تغيير مكان اللقاء ... لقد خافوا أن يتحدثوا تليفونيًّا، فقد تكون مكالماتهم مراقبة.

نوسة: إذن، فقد كنا مُراقَبين طول الوقت؟

المفتش: في كلِّ لحظة.

عاطف: وتركتموني أتلقى لكمة حَطَّمَتْ أنفي!

ضحك الجميع عندما قال المفتش: حتى تكفَّ عن دَسِّ أنفك في شئون الآخَرين.


هنداوي